مجلة العلوم الإسلامية والحضارة رقم ISSN 2477 – 9903
المجلد 07 العدد 03 عدد خاص ـ السنة 2022 ص 1027 - 1044

الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر

الدراسات الاستشراقية الموضوعية مصححا لصورة الإسلام المشوهة في الغرب

Objective Oriental studies correcting the distorted image of Islam in the West.

بن التومي مسعودة [1] *، بورنان مصطفى [2]

[1] جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر bentoumimessaouda34@gmail.com

[2] جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر mostaphabouranane66@gmail. Com

تاريخ الإرسال: 2022/05/14 تاريخ القبول: 2022/09/18 تاريخ: النشر: 2022/10/01

الملخص:

يتناول هذا المقال البحث في الدراسات الاستشراقية الموضوعية التي ساهمت في تصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب، فبعد أن كان الهدف الأول الاستشراق هومعرفة الشرق ودراسته نجده يتحول إلى خطاب إمبريالي يساهم في تحقيق السيطرة على الآخر وتعزيز خطاب الكراهية ضده خاصة فيما يتعلق بالإسلام، فهذا الأخير يعد العدوالأول للغرب وبعد أن بينا كيف ساهمت الدراسات الاستشراقية المعادية للإسلام في تشويه صورته وسبلها في ذلك، تناولنا الجهود المبذولة من طرف العديد من المستشرقين المنصفين للشرق عامة والإسلام خاصة وكفاحهم لأجل إيصال الصورة الحقيقية للإسلام والدفاع عنه وتصحيح صورته والدعوة إلى الانفتاح عليه من خلال نماذج لشخصيات ساهمت من خلال كتاباتها الاستشراقية في تحقيق ذلك .

* المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية : الدراسات الاستشراقية، الإسلام، الغرب، خطاب الكراهية، الانفتاح.

Abstract:

This article deals with the research on the objective orientalist studies that contributed to correcting the distorted image of Islam in the West. The latter is the first enemy of the West, and after we have explained how anti-Islam orientalist studies contributed to distorting its image and the ways in which it is done, we discussed the efforts made by many fair orientalists of the East in general and Islam in particular, and their struggle to convey the true image of Islam, defend it, correct its image, and call for openness to it through Examples of personalities who contributed through their Orientalist writings to achieving this.

Keywords: prospective studies, Islam, the West, hate speech, openness

مقدمة:

لقد اتسمت العلاقة بين الشرق والغرب بالتوتر الدائم، فما يميز العلاقة بينهما هوالعداء والكره الدائمين على مر العصور، بالرغم من وجود تلك المحاولات الشكلية التى تسعى إلى تبادل الحوار والتواصل والدعوة إلى تجاوز العداء، وهنا سنستحضر عداء من نوع آخر هوعداء الغرب للدين الإسلامي وتشويهه لصورته، فالإسلام يعد العدوالأول للغرب في الشرق، لذا توجهت الدراسات الغربية الاستشراقية لدراسته، وأولت أهمية بالغة لذلك، وقد أنتجته هذه الدراسات في صورة مشوهة عنيفة وسيئة لاتعبر عنه، وهنا ساهمت الدراسات الاستشراقية_ التى تعد في الأصل دراسة للشرق والإسلام في محاولة لفهمه ونقل حقيقته للغرب _ في تعزيز خطاب الكراهية ضد الإسلام، غير أن التعميم لا يصح هنا ذلك لأن هناك كتابات استشراقية نزيهة وموضوعية جاءت

منصفة للإسلام وقد حاولت جاهدة فهم حقيقته وتصحيح صورته المشوهة في الغرب فكيف ساهمت الدراسات الاستشراقية المنصفة والموضوعية في تصحيح صورة الإسلام التى شوهتها الدراسات المعادية له؟

1.مفهوم الاستشراق وأهدافه:

قبل أن نتطرق إلى مفهوم الاستشراق وأهدافه لابد لنا من الإشارة إلى البدايات الأولى للدارسات الاستشراقية حيث يذهب الكثير من المفكرين إلى أن " الحروب الصليبية كانت هي البدايات الأولى للاستشراق إذ أن هذه الحروب كانت آخر مراحل الصراع الديني بين المسلمين والمسحيين، وأن هؤلاء ربما اقتنعوا بأنه لا يمكن الإنتصار على المسلمين "[1]، حيث مثلت الحروب الصليبية ذلك الصراع الدموي بين الإسلام والمسيحية، وكانت هذه آخر المواجهات العسكرية بينهما، وهنا كأن الغرب اقتنع أنه لا يمكن أن نتغلب على الإسلام بل لابد من اتخاذ سبيل آخر وهذا السبيل هوما قدمته الدراسات الاستشراقية .

ولا يمكن ربط الاستشراق بالحروب الصليبية وحدها، ذلك لأننا هنا نسلم أن الاستشراق جاء فقط لدراسة الإسلام وما يدور حوله فقط، غير أن الحقيقة تقول أن الاستشراق يعنى بدارسة الشرق ككل والإسلام جزء من هذا الشرق الذي يؤرق الغرب ويخيفه، ولهذا كان لابد من ربط بدايات الاستشراق بالحركات الاستعمارية التي كانت تهدف إلى استنزاف ثروات الشرق وخيراته

وهناك من يؤكد أن الاستشراق طالما كان ملازما للحركات الاستعمارية خلال القرن 18من خلال حملات نابليون على مصر[2]، غير أن الواقع يثبت أن الاستشراق لوارتبط بالحركات الاستعمارية لانتهى مع نهاياتها، ولكن الاستشراق دراسة لا تزال قائمة رغم نهاية الاستعمار، بيد أن الحركات الاستعمارية والحركات الصليبية أعطت الإنطلاقة للمستشرقين لدراسة الشرق والإطلاع على مختلف جوانبه واستكشاف معالمه، فما هومفهوم الاستشراق؟

إن المعنى العام للاستشراق يحمل مفهوم " معرفة الشرق ودراسته" [3]، فالاستشراق في مفهومه العام هومعرفة يحصلها الغرب عن الشرق ودراسة بكل ما يتعلق به من قريب أوبعيد وهذه الدراسة تكون عن قصد تتخذ فيها كل الوسائل المتاحة، لها متخصصون يشتغلون عليها وهم المستشرقون.

والاستشراق من وجهة نظر أخرى هو" المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقارير حوله ... وهوبإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق"[4]، فالمتعارف عليه أن الدراسات والتقارير التي يقدمها المستشرقون عن الشرق ما هي إلا معلومات زائفة ومشوهة باختلاف أنواعها ومضامينها وباختلاف الفترات الزمنية لها، إذ أنها تعبر فقط عن رغبة في السيطرة فالاستشراق هنا مؤسسة تشترك فيها الدول الغربية لأجل إحكام سيطرتها على الشرق، وعندما نقول مؤسسة فإننا نسلم بوجود إطارات وهياكل ومختصين بها لتحقيق مأربها دون أن ننسى الوسائل والآليات المتبعة في ذلك، والتي يحاولون من خلالها تقديم الدوافع التي تجيز لهم السيطرة على الشرق وأفكاره .

وكان لا بد لنا من التطرق إلى إدوارد سعيد الذي تولى مهمة البحث فيما وراء الاستشراق في محاولة منه للكشف عن حقيقة هذا المشروع الغربي، وذلك من خلال تقديمه" لصورة تحليلية لنظرة الغرب للشرق من واقع كتابات المستشرقين ولعه كان يحرص على استنطاق الواقع وتحليل الكتابات الاستشراقية"[5]، حيث يحاول كثير من الدارسين لعلى ابرزهم إدوارد سعيد رسم صورة حقيقية ومبسطة لفهم الدراسات الاستشراقية، فهوينطلق من واقع ما يقدمه المستشرقون من تقارير ليقدم مساءلة نقدية عن الغرض منها، ولا يمر عليها كقارئ مطلع ولكنه يقف أمامها ناقدا ورافضا لكل تجاوزاتها .

ونجد إدوارد سعيد يعطي للاستشراق ثلاث معاني المفهوم الأول يحمل معنى المبحث الأكاديمي "فالمستشرق كل من يعمل في التدريس أوالكتابة أواجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق"[6] وهنا يتجلى لنا تعريف الاستشراق من خلال تحديد مفهوم المستشرق أوالقائم على الاستشراق ومهامه، فهوبمعنى عام مؤسسة أكاديمية يقوم فيها المستشرق بدراسة الشرق والكتابة حوله .

والاستشراق بمفهومه الثاني حسب إدوارد سعيد هو" أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي بين الشرق والغرب"[7]، والقول بأنه يعبر عن أسلوب تفكير هوإشارة إلى كونه طريقة ونمط خاص

من الأألأفكار، وهذا النمط قائم على ركيزة أساسية وهي فكرة التميز بين كل من الغرب والشرق، فالدراسات الاستشراقية توضح أن لكل منهما وجوده المميز عن الآخر، وهنا يظهر دور الاستشراق في إحداث القطيعة والانفصال بينهما.

أما المفهوم الثالث الذي يقدمه إدوارد سعيد للاستشراق فهوأنه" أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه "[8]، والتعريف يوضح أن الاستشراق هووسيلة هيمنه وهذا ما نجده مهيمنا في الفكر الغربي، الذي يؤكد على أن الأنا الغربية لابد لها من تهميش الآخر الشرقي المضاد لها، إذ أن المستشرقين من يدعون أن للاستشراق فقط أبعاد أكاديمية تهدف إلى تحقيق المعرفة بالشرق، غير أن هذا هوالوجه هوالظاهر له فقط، أما الهدف الحقيقي الكامن وراءه هوإحكام السيطرة على الشرق واستنزاف خيراته " ، الاستشراق أراد ا أن يكتب عن الشرق كما تصوره

وأراده، وليس كما هوعليه حقيقة"[9]، فكتابات المستشرقين تصور لنا شرقا غريبا عن ذاته لا يمت بصلة للشرق الموجود حقيقة، فهويعبر فقط عما أراده الغرب أن يكون عليه، مرسوما في إطار محدد وملونا بألوان يختارها الغرب له، وهنا تظهر لنا حقيقة الاستشراق التي كشف عن "طبيعة العقلية الغربية ونظرتها إلى الآخر أكثر مما يكشف عن طبيعة موضوعه المدروس"[10]،كما أن ما كتبه المستشرقون من كتابات تظهر وبشكل جلي التفكير الضيق للغربيين، الذي يعبر عن عقلية غربية متمركزة حول ذاتها، ترى نفسها فوق الآخر وتنظر إليه بعين الاحتقار من جهة أنها تتميز وتتفوق عليه في كل المجالات .

2.خطاب الكراهية وتشويه صورة الإسلام في الدراسات الاستشراقية .

إن الإسلام يمثل أعمق صورة للآخر بالنسبة لغرب لذا نجد أن الدراسات الاستشراقية قد ركزت الدراسة والكتابة حوله، بل نجدها ترسم للإسلام صورة لا تمثله إذ يمكن الحديث عن " صناعة الإسلام من وجهة نظر المعادين له "[11]وعندما نقول صناعة فإننا نذهب جزما إلى إنتاج شيئ جديد لم يسبق وجوده، من مواد مختلفة موجودة في الواقع وهذا ما فعله الغرب عندما أنتج الإسلام

بشكل جديد متخذا من بعض الأفكار الإسلامية مادة له، بحيث غير من هذه الأفكار حسب فهمه الخاطئ وهذا ما أنتج صورة للإسلام لا تعبر عنه في شئ .

ما ذنب الإسلام هنا إلا أنه دين شرقي يقع في الحدود الجغرافية الشرقية ونجد أن الإسلام يمثل العدواللدود للغرب وبسبب هذا العداء تظهر الدراسات الاستشراقية المعادية للإسلام هذا الأخير في صورة سلبية وسيئة " فبصفته ينتمي إلى الشرق فقد كان قدر الإسلام الخاص أن ينظر إليه في المقام الأول كأنه كتلة صلدة واحدة لا تمايز فيها ولا تعدد، ثم أن ينظر إليه بنوع متميز جدا من العداء والخوف"[12]فالإسلام قبل كل شيئ هودين شرقي يمثل آخرا مضادا للأنا الغربية ولذلك فهوعدولها من جهة، ومن جهة أخرى لا بد لها من الخوف لأنه دين دموي .

إذ نجد أن التشويه بحقيقة الإسلام في ظل الكتابات الاستشراقية عميق جدا فهودين عنف تظهره في صورة واحدة وثابتة لا تتغير، فالمسلمون إرهابيون وعطشى للدماء [13]وهذه أسوأ الصور التي يصورها الغرب للإسلام فهويحصره في صورة نمطية جامدة لا يمكن أن تتغير، وهي صورة الإسلام الإرهابي الدموي الذي لا يعرف غير العنف والتقتيل .

ومصطلح الإرهاب في حد ذاته هوصنيع الغرب وهوفهم خاطئ وتأويل كاذب عبر من خلاله عن كون الإسلام دين رعب لابد من الخوف والحذر من وجوده، فهوالداعم لوجود الإرهاب وقد أوضح إدوارد سعيد في كتابه "تغطية الإسلام"بأن الإسلام يمثل بالنسبة للحضارة الغربية تهديدا واضحا، ومناقشة عنوان هذا الكتاب "تغطية الإسلام " يوضح ذلك، فعندما نقول تغطية فإننا نقول غط الشيئ أي حجبه عن الرؤية وأنه بات غير مكشوف أمامنا، وفي هذا العنوان تأكيد على أن الغرب يحاول جاهدا وضع غطاء يحجب صورة الإسلام الحقيقية ما أدى إلى تضليل الرؤى حول الإسلام " ومصدر هذا التضليل هوأن التغطية توحي لمن يتلقون الأنباء بأنهم قد فهموا الإسلام"[14]فالغربيون لم يتعرفوا على الإسلام مباشرة وهم لم يتعرفوا عليه في صورته الحقيقية، بل إنهم يتلقون الأخبار والمعلومات عن الإسلام، وهنا يكون للدراسات الاستشراقية ووسائل الإعلام الدور الحاسم إما في تشويه صورة الإسلام أوانصافه، وهنا نجد أن معظم المعلومات المنقولة عن الإسلام كانت زائفة وترسمه في صورة دموية لا تعبر عنه في شيئ .

فها هولكوسان دي برسفال الذي ألف كتاب ضخم بعنوان " مقال في تاريخ العرب قبل الاسلام " والذي يقدم فيه أطروحة مفادها أن مُحَمَّد ﷺ هوالذي جعل العرب شعبا وأن الإسلام رسالة سياسية وليس أبدا رسالة روحية [15] وهنا يبين أن الرسول ﷺ هوالرجل السياسي وهويلغي عنه صفة النبوة ويجعله مخططا وحنيكا سياسيا جعل العرب بعد أن كانوا قبائل شتى شعبا واحدا تحت شعار الدين الواحد وهوالإسلام وهذا النوع من الكتابات ساهمت بشكل واضح في تشويه صورة الإسلام.

كما أن وسائل الإعلام الغربية تساهم في ذلك أيضا فإذا أتيت " كتب التاريخ المدرسية والقصص والرسومات الكاريكاتورية أومسلسلات التلفزيون سوف تجد التصوير الذي لا يختلف أبدا للإسلام" [16]فهويصور في صورة نمطية ثابتة بأنه همجي ومتخلف، وتمثله في صورة الإرهاب وهنا يظهر أن الإعلام الغربي لا يتحرى الموضوعية ولا يطلب الحقيقة ولا ينقلها .

وقد بلغ هذا التصوير حد إنتاج نماذج واقعية توضح الصورة التى أسسها للآخر، إذ أن هناك نماذج توضح كيف أن الغرب يصور العرب والمسلمون في صورة المتخلفين وقد رسخت هذه الصورة من وقت كان هناك إحتفال بالجامعة الأمريكية وكان وقتها الزي العربي يعبر عنه بالثوب الفضفاض وغطاء الرأس وهنا اتضح للأمريكيين أن هذا الزي يسبب الحرج للجامعة، غير أن الذي حدث أنهم لم يمعنوا أحدا من لبسه بل أبقوا عليه في مقابل أن يسير أفراد الدفعة من العرب في آخر الموكب وهم يضعون أيديهم فوق رؤوسهم كدليل على الهزيمة [17] وفي هذا احتقار شديد للآخر، وهنا يظهر خطاب الكراهية للإسلام والشرق بصورة واضحة .

3. كتابات استشراقية دفاعا عن الاسلام .

إلا أنه وبالرغم من وجود مثل هذه النظرة السيئة من قبل الغرب ، إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن هناك الكثير من المستشرقين الذين أنصفوالشرق عامة والإسلام خاصة في كتاباتهم، " إذ أن كتابات المستشرقين منها الموضوعي النزيه، ومنها الموضوعي المغري، الذي يهدف إلى الطعن والتشويه"[18]، وهنا لابد من الإقرار بأنه يجب لنا العودة للكتابات الاستشراقية المنصفة فلا يمكن لنا

الحكم على جمع المستشرقين بلا مصداقية، ولا يمكننا وضعهم في دائرة واحدة لأنهم ينقسمون فمنهم النزيه الذي هدفه بلوغ حقيقة الآخر وتبليغها بصدق، متجنبا التشويه والتعصب، في حين هناك المتعصب لذاته وثقافته، هدفه تشويه صورة الشرق وإذلاله، وهنا **نجد هنري دي كاستري** من بين المنصفين للإسلام ويعد كتابه "الاسلام خواطر وسوانح " نموذجا لرؤية منصفة للإسلام والمسلمين، إذ نجده يذهب إلى أنه لم يقصد من خلال كتابه تمجيد الإسلام ورسوله، بل بين أنه عمل شاق وموقف محرج بحكم ما رسخ في أذهان الغرب من صور مشوه عن الإسلام، وكان هدفه الحقيقي هو تحقيق الفهم الصحيح للإسلام والمسلمين"[19] ، فأمثاله من المستشرقين لا يرون الإسلام عدوله بل أنه يواجهون المشاكل والضغوطات مع أوطانهم وأبناء شعوبهم في سبيل إيصال صورة الإسلام الحقيقية، ومن هنا لابد من إعادة النظر في الموقف الشائع من الغرب ورؤيته عن الإسلام والمسلمين، فليس كل الغربيين لهم نظرة ضيقة فهناك المنصفون منهم، ولعلى الألمانية أنا مريا شميل قد أحدثت تطورا ملحوظا في المدرسة الاستشراقية الألمانية الغربية بدخول المرأة أولا في هذا المجال، وتمثيلها من جهة أخرى للنموذج المثالي للموضوعية في الدراسات الاستشراقية، لقد كان لشميل الدور الحاسم في التعريف بالإسلام والحضارات الشرقية حيث أنها من أكثر المستشرقين اطلاعا على الإسلام وأحكامه، وهي دائما تسعى إلى تصحيح الصور المغلوطة التي نقلها بعض المستشرقين عن الإالإسل، حيث حاولت جاهدة تقديم الصورة الواضحة والموضوعية عنه، حيث تقول " إنني أقول دائما للغربين الذين يشوهون صورة الإسلام، أن الاسلام قد منح للإنسان حقوقه خاصة النساء "[20] ، حيث أن الذين شوهوا صورة الإسلام يدعون أنه يقضي على حقوق الإنسان ويجعل منه عبدا، وخاصة المرأة التي طالما حاولت الكتابات الغربية تحريرها من قيود الدين الإسلامي الذي هوفي نظرهم يمارس عليها الاضطهاد ويسلبها الحرية، وهنا تقول شميل: " من الغريب أن يوصف الإسلام أنه دين معادي للمرأة فغالبا ما علق مُحَمَّد قائلا حبب إليا من دنياكم الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة"[21]، وهنا تنتصر شميل للموقف الإسلامي من المرأة والمكانة العظيمة التي خصها بها، حيبهأبدت اعجابها بما ورد في القرآن وما قاله الرسول عليه السلام على المرأة مستشهدة بحديثه الذي يضع المرأة في مرتبة الطيب أوالرائحة الزكية.

وفي سياق متصل ونتيجة لما لحق الاسلام من إساءات جعلت منه صورة عن الإرهاب الدموي ها هي شميل تستحضر الأدوات النقدية لتصحح صورة الإسلام، وإبراز جانبه المشرق الذي غيبه المستشرقون، بموضوعية لا يمكن أن تلغى إذا عرفنا أنها محبة للإسلام ومدافعة عنه، إذ نجدها ترفض الفكرة الغربية القائلة أن الإسلام قد انتشر بالقوة بل باستخدام العنف الدموي من قبل المسلمين، وهذا الأمر حسب قولها: " شائع جدا في الغرب حيث يقولون أن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف ولكن الغرب يتجاهلون هنا حقيقة ثابتة وهي أن جميع الأديان قد استخدمت النار والحديد في حروبها الدينية بما في ذلك المسيحة بيد أننا نستطيع أن نقول من حيث المبدأ أن الفتوحات الإسلامية التي تمت بحد السيف كانت أسبابها ودوافعها سياسية بحتة، فلم تحدث لتوسيع رقعة الاسلام كديانة "[22] وهنا نجد شميل تدافع وبشراسة عن الإسلام حيث تتهم الغرب بأنه يحاول تضليل الحقيقة مستشهدة بالحروب الدينية المسيحية التي استخدمت فيها القوة والسيف وكانت حروبا دموية، وهذه حقيقة جلية للتاريخ لا يختلف حولها، ولكل دين حروبه الخاصة التي تستوجب منه استخدام السيف،كما أنها توضح وبموضوعية تامة أن حروب الإسلام لم يكن غرضها فرض الدين على الآخر وإلزامه به، بل كانت نتيجة لدوافع سياسية واقتصادية، وإما دفاعا عن نفسها ضد الهجمات الخالخارجيةوفي هذا الصدد تقول يجب أن لا ننسى أن الكثير من الحركات التي نطلع من خلالها على الإسلام لا علاقة لها بالإسلام بل هي حركات لها علاقة بالسلطة السياسية أكثر من الفكر الديني فهل نحكم على المسيحية من خلال الإرهاب الديني"[23]، وهنا تبرر شميل موقفها من خلال هذه الأحداث التاريخية، موضحة الصورة الحقيقة للإسلام التي غابت على الكثير من الغربين ومنهم المستشرقين .

كما ترى شميل أن الأحكام الظالمة التي يقدمها الغرب ناتجة عن التصور والفهم الخاطئ الذي تعرض له الدين الإسلامي، وهي تقر أن هذا الأخير بريء من الإرهاب وفي هذا الصدد تؤكد أنها لم تجد في القرآن أوالحديث أي دعوة للإرهاب أوأي شكل من أشكال العنف، وهي تستشهد بقاعدة في الدين الإسلامي "عامل الناس كما تحب أن يعاملوك" وهذه قاعدة أساسية في التأسيس الأخلاقي الإسلامي"[24]، حيث أن قراءتها العميقة للقرآن والحديث جعلتها تقول بصريح العبارة أن الإرهاب لا يمت بصلة للإسلام بل تتجاوز ذلك إلى التصريح مباشرة عن أن التعاطف والتسامح

والرحمة من صفات المسلم، والمسلم هومن يجسد جملة هذه القيم الأخلاقية في أفعاله ومعاملاته مع بني جنسه دون مراعات للاختلافات على مختلف مستوياتها، فالغربيون لم يتجاوزوا النظرة السطحية للإسلام كما حملها لهم المستشرقين، بل أن ما وصل للغرب لا يعبر لا عن المسلمين ولا عن الاسلام، فهناك من الغربين من لم يطلع على الإسلام اطلاعا عميقا ولم يدرسه دراسة مباشرة بل نجدهم يتلقون أخباره والمعلومات الزائفة عنه على أنه دموي وعنيف، وبهذا يتشكل في عقولهم أنهم فهموا الإسلام , ولكن في الحقيقة حرفت لهم الكثير من الحقائق عنه، فهم يتبعون أنباءً مضللة تغطي الوجه الحقيقي للإسلام فما يقدمه الاستشراق من تمثيل للإسلام يجعل منه دين عنف حيث يقدم الخطاب الاستشراقي الدين الإسلامي في صورة واحدة وثابتة، إذ يتم تصوير الإسلامين على أنهم ارهابين وعطشى للدماء، وتعتبر شميل أن هذه الصورة من أسوء الصور التي قدمها الغرب عن الإسلام، فهويحجزه في صورة الإرهاب الدموي الذي لا يعرف غير العنف والتقتيل وهذه الصورة مجحفة ومنتهكة لحق للإسلام، إذ نجد أن مصطلح الإرهاب هوفي حد ذاته هوصنيع الغرب ناتج عن الفهم الخاطئ، والتأويل الكاذب الذي يرسم من خلاله الإسلام بأنه دين رعب وخوف يجب الحذر من وجوده ، وهذا ما نجد انواع الفنون والرسوم الكاريكاتورية تجسده [25]. وترى شميل "أن للفنون والرسومات الكاريكاتورية دورا في تشويه صورة الاسلام وإظهاره في صورة شهوانية، إذ ساهمت هذه الفنون وبشكل فعال في تثبيت ونشر صورة الاسلام الشهواني ولعلي هنا أتفق مع إدوارد سعيد بأن هذه الصور أسهمت في تشويه صورة الإسلام في الغرب"[26]، وقد انتقدت شميل ما تتناقله وسائل الاعلام من روسومات كاريكاتورية وفنون شوهت صورة الدين الإسلامي في عيون الغرب، بل أصبحت هذه الصورة المشوه بمثابة حقيقة بديهية مسلم بها، وهذا ما ترفضه أنا مريا شميل وتنديد به، بهي تتفق مع إدوارد سعيد في أن لوسائل الاعلام دور بالغ في الإساءة للإسلام وفي رسمه وإظهاره في صورة نمطية واحدة في مختلف المحتويات الإعلامية، وفي هذا الصدد يقول إدوارد سعيد : " في كتب التاريخ المدرسية والقصص المرسومة الكاريكاتورية والمسلسلات التلفزيون والأفلام، سوف تجد التصوير الذي لا يختلف أبدا للإسلام "[27] , حيث أن الغرب يعلم أبناءه من خلال الكتب المدرسية والقصص وحتى المسلسلات أن الإسلام يعبر عن صورة نمطية لا تختلف فهودائما في الهامش ويمثل الدونية والوحشية والعنف الدموي، وكأن هذه الوسائل تقوم بعملية

تغطية شاملة للإسلام، وكأن هذه الوسائل كافة تتضامن مع بعضها البعض في تقديم الإسلام في أسوأ صورة ممكنة، في حين تحجب أوتغيب الجانب المشرق منه، وهنا تجلى التأثير البالغ بمختلف أشكاله في ممارسة تغطية تظلل الفرد وتقتل الوعي لديه بالحقيقة وتحشودماغه بأفعال مغالط فيه وهنا تقول شميل: " ليست معرفتي بالإسلام مستمدة من البحث عشرات السنين في الآداب والفنون الإسلامية فحسب، بل كذلك من معاشرة الأصدقاء المسلمين من طبقات الشعب كافة"[28] وهنا تقف مريا شميل موقف الحائر من الغربين الذين اكتفوا بالاطلاع عن مجرد ما تتناقله وسائل الاعلام واصدار أحكام قاسية عن الاسلام، ذلك أن الحقيقة لا يمكن الوقوف عليها من خلال ما تبثه هذه الوسائل بل لابد من دراسة عميقة وفتح جسور التواصل بين الغرب والمسلمين لتحقيق الرؤية الصحيحة وإضفاء التسامح وتحقيق السلام والمصداقية بين الثقافتين دون المساس بخصوصية كل منهما، وهنا نطرح التساؤل التالي: كيف يمكن رسم معالم هذا الانفتاح ؟ وهل هناك أمل في تحقيق فضاء إنساني يتعايش فيه الغرب والشرق معا ؟

4.دعوى الانفتاح على الإسلام .

ذاكرتنا البشرية اليوم مثقلة بالكثير من الصور المؤلمة كالحروب ومجازر ارتكبها الإنسان، في حق الإنسان، لذا فبمجرد تخطينا لتاريخنا البشري وأحقاد أباءنا وأجدادنا،نحن نقوم بعمل نبيل، وتنظيف أفكارنا ومشاعرنا من هذا التاريخ المظلم هوبحد ذاته رسالة إنسانية، لأنه في بحثنا عن صيغتنا الاجتماعية وطبيعتنا الذاتية يجب علينا أن نجرب كل الاحتمالات للانتصار على هذا العدوان على البشرية بأدوات جديدة، وتدابير عقلية وإنسانيه وأهمها التسامح الذي اعتبره نوع من المقاومة الفعالة لبشاعة هذا العالم علينا أن نفهم التسامح والطفح كما فهمته حنة أرندت كفعل منقذ للإنسان، من نشاط أفعاله وأفق يفتح له باب المستقبل بالتحرر من تبعات أفعاله ومن التخلص من ثقلها على كتفه، ومن هنا تبدأ المهمة التاريخية للشعوب عندما يتم إدراك أهمية نبذ الوعي الزائف الذي يهدد العلاقة بين الآخر والأنا قبل كل شيء، ترى شميل أن الاستشراق نافذة للحوار والتفاهم بين الأديان والثقافات وأن المسلمين عليهم أن يدركوا أن الاستشراق ليس عدوا الإسلام بل وسيلة لمعرفته، وأن من الخطأ أن نضع جميع المسشرقين في بوتقة واحد[29]

وهنا سنخاطب الأنا التي هي أنت، والأنت التي هي أنا، سنتحدث عن التذاوت علة كل المشاكل والمآزم التي وقعت فيها البشرية كالتشيؤ والأنانية والاحتقار والازدراء، هذه الأمراض التي باتت تفتك بالجسم الاجتماعي، وتنخره من الداخل فتأكله شيئا فشيئا، ووقود هذه المهمة التاريخية هم هؤلاء المثقفون، الفلاسفة والأدباء، الفنانون والمهندسون والأطباء، بل كل من يحمل في جسمه جينات إالأطباء، فنحن جميعا شركاء بحكم الإنسانية مهما اختلفت ألواننا وأجناسنا وأوطاننا في هذا التغيير، ومن واجبنا أن نتحدث عن القيمة الكلية التي تنطوي وتذوب في كنفها القيم الأخرى ألا وهي العدالة، فهي وحدها القادرة على أن تكفل لنا العيش المشترك وتحقق لنا ذواتنا الفعلية في ظل التعدد والاختلاف .

وبالتالي النقطة الأولى التي ينبغي أن ندركها هنا ومنها ننطلق هي إدراك مفهوم الاختلاف في حد ذاته، وأن ندرك إدراكا بالمطلق أن الاختلاف سنة كونية وقانون حتمي مفروض علينا كما فرضت علينا القوانين الطبيعية كالجاذبية مثلا وبتالي التفكير في إلغاء هذا الاختلاف أوتجاهله هوفعل في غاية السذاجة، بل الغباء ذاته، بل لابد للفكر أن يتوجه إلى التفكير في كيفية استثمار هذا الاختلاف في سبيل ترقية الأنا والأخر على حد سواء، فأفضل استثمار على وجه الأرض هوالاستثمار في الإنسواء، وأفضل ما نستثمره فيه هوالاختلاف ذاته، بحكمة حقيقة قائمة لا مجال لتجاوزها، هذا ما أدركته المفكرة المستشرقة الألمانية أنا مريا شميل، لقد أدركت عمق قضية الاعتراف بالأخر وضرورة الانفتاح عليه، من خلال الحوار والبحث العلمي الموضوعي, وقد قامت بالعديد من المجهودات لأجل الدفاع على ذلك، وقد كرست حياتها انتصارا لهذه القضية الانسانية والحضارية، لتحدث بذلك طفرة نوعية في مدرسة الاستشراق الألمانية، طفرة تميزت بالانفتاح على الآخر والإيجابية على الثقافة الإسلامية، فكانت بذلك من أهم المستشرقين الذين دعوا بصريح العبارة إلى أهمية الحوار الحضاري والتواصل الفكري مع الآخر، دون مراعات للحواجز الدينية اولثقافية التي تتفرد بها كل حضارة فلا سبيل أمام البشرية إلا هذا الطريق حتى تنتشل نفسها من جحيم الحروب والنزاعات التي لا تنتهي .

وبعد الدور الحاسم الذي لعبته أنا مريا شميل في التعريف بالإسلام والحضارات الشرقة نجد تسعى دائما من خلال دراستها إلى تحقيق ذلك النوع من الانفتاح بين الشرق والغرب ، في محاولة

منها لإرساء قواعد الحوار الحضاري وتحقق التواصل الفكري فهي تقول: "لقد كتبت أنا مريا شميل كل ما كتبته من أجل فكرة عظيمة، فكرة تحقيق المزيد من التسامح والتفاهم والسلام بين شعوب العالم وثقافته وأديانه "[30]، حيث أنها تقر بأن هدفها من الكتابة لم يكن عبثا بل يحمل رسالة إنسانية راقية موجهة للبشرية قاطبة من أجل تحقيق فكرة الحوار والتواصل وبناء جسر يربط بين مختلف الحضارات ويؤسس لقيم التعاون في مختلف المجالات خاصة في المجال المعرفي، وأن الجدير بنا أن نستثمر في هذا الاختلاف وجعله لصالحنا بدلا من نظرتنا القاصرة اليه، وفي هذا السياق يقول روجي غارودي: "لن يكون هناك حوار حقيقي ما لم يقتنع كل منا بأن عليه أن يتعلم شيء من الأخر"[31]، وهنا يقر غارودي أن الحوار الحقيقي لن يتأسس إلا لما يقتنع كل طرف بحاجاته إلى علوم غيره، ذلك أن هذا الأمر عينه يساهم في تطوير المعرفة البشرية من زاوية، ويرتقى بالإنسانية من جهة أخرى، وكأنه هنا يرفض فكرة السيطرة الغربية والتفوق العلمي الذي تدعيه، ويؤكد هنا على ضرورة إعادة الغرب إلى حجمه الحقيقي من خلال حوار حقيقي بين الحضارات[32]،وتختار شميل مصطلح الحوار ذلك أن من شروط هذا الأخير حتى يكون صحيحا لا بد من المساواة بيتن الطرفين المتحاورين، مما يعني أنها وغارودي وغيرهم ممن يدعون لحوار الحضارات يؤكدون على ضرورة تجاوز تلك النظرة الدونية للآخر،كما يفعل الغرب ذلك، مضيفا قوله: " حوار الحضارات حقيقة ليس بجائز إلا إذا اعتبرت الانسان الآخر جزء من ذاتي، ويعْبر كياني ويكشف لي عما يعوزني"[33] وهذا الحوار الذي يدعوا إليه غارودي يساعدنا على أن ننفتح في الصعيد الثقافي[34]، حيث ينبغي أن ينظر كل طرف إلى الآخر على أنه جزء منه وأنه لولا الآخر لم يكن للأنا كيان، إن الإسلام يوشك أن يصور على أنه العدوالجديد للغرب،وأعتقد أن الشعوب يمكن أن تتجاوز ذلك من خلال حوار أصيل يحترم فيه الطرفين الآخر، دون أن يعني ذلك القضاء على الاختلافات بينهما[35]، وكان هذا هوالهدف المنشود الذي سطرته شميل طيلة بحثها ودراساتها, ويمكن أن نختم هذا البحث بقولها الصريح وموقفها الجريء الذي عاندت به جميع معارضيها حيث تقول عن الإسلام: " **إنه هوالذي أنتج الحضارة التي سارت على سنة المساواة والعدالة بين البشر [36]** "

الخاتمة :

وبناء على ما تقدم طرحه يمكننا استخلاص ما يلي :

- أن الدراسات الاستشراقية ساهمت في تشويه صورة الإسلام، كما ساهمت في تعزيز خطاب الكراهية ضد الآخر بشتى الطرق وهذا النوع من الدراسات يمثل العداء للسلام، لكن هذا لا يجعلنا نغض الطرف عن تلك الدراسات النزيهة التى حاولت جاهدة الغاء الصورة المشوهة عن الإسلام وانصفته .

- لا بد من رفض الدراسات الاستشراقية التي تتحدث بمنطق الدونية للشرق، والتي يكون الغرض منها إحكام السيطرة عليه، وفي مقابل هذا لا بد من انصاف المستشرقين المنصفين الذين يرون أن الاستشراق منهاج علمي لمعرفة الشرق والاستفادة منه، وهنا الاستشراق ليس عدوا للإسلام والشرق بل قد يكون داعما ومصححا لصورته المشوه.

- تم تشويه صورة الاسلام وتقديمه للغرب في أسوء صورة من قبل بعض المتشرقين الغرب الذين تعمدوا ذلك تعصبا منهم أكثر من تطلعهم للحقيقة فراح الكثير منهم يخلط بين الموضوعية والصدق في التأريخ أوالبحث .

- تساهم وائل الاعلام كذلك وبشكل رهيب في هذا التشويه، فانتشرت الصور السيئة عن الاسلام، بفعل الدور البالغ لهذه الوسائل، فصورت الإسلام في صورة الإرهاب الدموي وهنا تقف أنا ماري شميل والعديد من المفكرين والمستشرقين أمثالها موقف الرافض والمدافع عن الاسلام، حيث كان لهم الفضل في التعريف بالإسلام وتصوير صورته، والتأكيد على أن الأحكام ضده ظالمة ، ونتجت عن الفهم القاصر للشرق، كما يقرون بأن الإسلام لا علاقة له بالإرهاب.

- لدراسات الاستشراقية الموضوعية تبحث عن الطريقة المثلى لتحقيق الانفتاح والتواصل بين الشرق والغرب خاصة الإسلام بل إن معظم كتب المستشرقين المنصفين كانت موجهة نحوتحقيق الانفتاح بين الشرق والغرب حيث أنها تسعى إلى تحقيق التواصل الفكري وتدعيم الحوار

الحضاري بينهما , والهدف من ذلك تحقيق فضاء إنساني يتحقق في التعايش السلمي بين الحضارات .

المصادر والمراجع

1. مُحَمَّد فتح الله الزيادي، الاستشراق اهدافه ووسائله، دار قتيبة، دمشق،ط1، 1998.

2. عبد الله مُحَمَّد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق،ط1، 1997.

3. مُحَمَّد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه مدارسه أثاره، المنظمة الاسلامية للعلوم والثقافة، الرباط، دط، 2012.

4. ادوارد سعيد, الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة مُحَمَّد عنان، ظط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006 .

5. عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، منشورات الاختلاف، ط1، 2010 .

6. هنري دي كاستري، الاسلام خواطر وسوانح، ترجمة أحمد فتحي زعلول، ط1، دار طيبة للطباعة، القاهرة، 2008

7. أنا مريالقاهرة، نموذج مشرق للاستشراق، ترجمة ثابت عيج، ط1، دار الرشاد، القاهرة , 1998 .

8. انا مريا شميل , روحي أنثى، ترجمة لميس قايد، ط1, الكتب خان للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016 .

9. أنا مريا شميل، الجميل والمقدس، ترجمة عقيل يوسف عيدان،ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008 .

10. ادوارد سعيد، برنارد لويس، الاسلام الاوصولي، دار الجيل ،بيروت، ط1, 1994 .

11. ادوارد يعيد، تغطية الاسلام، ترجمة مُحَمَّد عناني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006 .

12. مُحَمَّد على صغير، المستشرقون والدراسات الاسلامية، دط، بيروت، 1996 .

13. روجي غارودي، الاصوليات المعاصرة، ترجمة خليل أحمد خليل، دط، دار عام الفين، باريس، 2002 .

14. روجي غارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، ط4، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 1999 .

الهوامش:

[1] مُحَمَّد فتح الله الزيادي, الاستشراق اهدافه ووسائله, دار قتيبة, دمشق, ط1, 1998, ص 25

[2] مُحَمَّد فتح الله الزيادي , المرجع نفسه نفسه, 25

[3] عبد الله مُحَمَّد الأمين النعيم, الاستشراق في السيرة النبوية, دار الفكر, دمشق,ط1, 1997, ص 15

[4] مُحَمَّد فتح الله الزيادي , مرجع سابق, ص 16

[5] مُحَمَّد فاروق النبهان, الاستشراق تعريفه مدارسه أثاره, المنظمة الاسلامية للعلوم والثقافة , الرباط, دط , 2012, ص 77

[6] ادوارد سعيد, الاستشراق, المفاهيم الغربية للشرق, ترجمة مُحَمَّد عنان, ظط1, رؤية للنشر والتوزيع , القاهرة, 2006, ص 44

[7] المرجع نفسه , ص 45

[8] نفسه , ص 46

[9] مُحَمَّد فاروق النبهاني , ص 77

[10] عبد الله ابراهيم , الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة , منشورات الاختلاف, ط1, 2010, ص 185

[11] ادوارد سعيد، الاسلام والغرب، تقديم فيصل دراج، دار كنعان، دمشق ط1، 2014،ص15.

[12] ادوارد سعيد، برنارد لويس، الاسلام الأصولي، ص35

[13] ادوارد سعيد السلطة والسياسة والثقافة، ترجمة نابلة قليقلي حجازي، ط1،دار الآداب، بيروت، 2008،ص262.

[14] ادوارد سعيد، تغطية الإسلام، ترجمة مُحَمَّد عناني، ط1،رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006،ص26.

[15] ادوارد سعيد، الاستشراق، ص250.

[16] ادوارد سعيد، تغطية الإسلام،ص74.

[17] ادوارد سعيد، الاستشراق، ص436-437.

[18] هنري دي كاستري, الاسلام خواطر وسوانح, ترجمة أحمد فتحي زعلول , ط1, دار طيبة للطباعة , القاهرة , 2008, ص 3

[19] المرجع نفسه, ص 6

[20] أنا مريا شميل , نموذج مشرق للاستشراق, ترجمة ثابت عيج, ط1, دار الرشاد, القاهرة , 1998 ,ص 57

[21] انا مريا شميل , روحي أنثى, ترجمة لميس قايد, ط1, الكتب خان للنشر والتوزيع, القاهرة , 2016 ص 43

[22] أنا مريا شميل, المرجع نفسه, ص59

[23] أنا مريا شميل, نفسه, ص 62

[24] أنا مريا شميل, الجميل والمقدس, ترجمة عقبيل يوسف عيدان ,ط 1, الدار العربية للعلوم ناشرون,بيروت, 2008, ص17

[25] ادوارد سعيد , برنارد لويس , الاسلام الاوصولي , دار الجيل بيروت, ط1, 1994 ص 26-37

[26] أنا مريا شميل , نموذج مشرق للاستشراق , مرجع سابق, ص 63

[27] ادوارد يعيد , تغطية الاسلام, ترجمة مُحَّد عناني , ط1, رؤية للنشر والتوزيع, القاهرة, 2006ص 74

[28] أنا مريا شميل , الجميل والمقدس, مرجع سابق, ص 35

[29] مُحَّد على صغير , المستشرقون والدراسات الاسلامية , دط , بيروت, 1996, ص 29.

[30] أنا مريا شميل , نموذج مشرق للاستشراق,مرجع سابق, ص 48

[31] روجي غارودي , الاصوليات المعاصرة, ترجمة خليل أحمد خليل, دط, دار عام الفين, باريس, 2002, ص 135

[32] المرجع نفسه , ص 136

[33] روجي غارودي, حوار الحضارات , ترجمة عادل العوا, ط4, عويدات للنشر والطباعة, بيروت, 1999, ص 158

[34] المرجع نفسه, ص 216

[35] أنا مريا شميل, الجميل المقدس , مرجع سابق, ص 38

[36] المرجع نفسه, ص 39